ذلك الى انهُ لم يطلع عليها في كلام من يوثق بهِ وقد وردت في شعر ابي العلاء المعرّي وهو اعلى من أن يستعمل ما ليس منهُ على ثقةٍ قال في لزومهِ

كذبٌ بقالٌ على المنابر دائمًا أفلا يعيدُ لما يقالُ المنبرُ

وعثرت عليها في كلام غيرهِ من اهل الاطلاع الواسع وارباب اللغة الفصحى على انها قليلة الورود في كلامهم بخلاف ابدًا فهي مستعملة على ألسنتهم فاشية في كتبهم

اصل الوهابية

للكاتب البليغ محمد افندي كرد علي

لغطت ألسن الناس في هذه الايام باصل الوهابية وتاريخهم ومعتقدهم وتناقضت الروايات وكثرت التخرُّصات والقوم بين مفرط في التشيع لهم ومفرّط في التشنيع عليهم وودَّ الكثير لو كان في الايدي ما يستند عليهِ لاستقراء الحقيقة واستجلاء الغامض من هذا السر. وما دعا الى ذلك الاَّ اختلاط المتمكنين بذاك المذهب مع اهل الامصار كالقطر العراقي المصري والشامي وغيرها من الاقاليم يتجرون بنتائج بلادهم من سمن وحنطة واباعر وشياه واوبار وجلود تجارة رائدها الصدق في التعامل مع الكافة مما ضاعف الثقة بهم على تطاول الايام. ولان اميرهم الحالي كالطالبي اخذ يحسن صلاتهِ مع الدولة العلية العثمانية فينفذ كل عام الى الاستانة وفدًا من قبلهِ يصحبهُ بعشرات من جياد الخيول العربية المطهمة هدية منهُ الى الاصطبل السلطاني ورسائل لتكون دلائل على اخلاصهِ وصداقتهِ فينال رجالهُ كل رعاية وتجلة وتنهال عليهم وعلى مولاهم انواع الاوسمة وعلائم الشرف كما تنال الخلع والطرف

ولما كان من شأن المقتطف ان يبحث في كل جليل وقليل من احوال العلم والعالم وقد سبق لهُ ان تعرض لذكر كثير من المذاهب خصوصًا ما ينشأ منها في المشرق رأيت ان اخدمهُ بنبذة في تاريخ الوهابية فاقبلت على التواريخ الحديثة التي فيها ضالتي فلم اعثر على بيان يشفي الغلة ويدرأ الشبهة جرى فيهِ كاتبهُ على قدم الصدق وتحيص الحق واسند الاشياء الى اربابها. ولما ضاق المضطرب وعز المطلب عمدت الى انتقاء نتف من كتب شتى ولفقت بينها على كثرة التناقض فيها ونوامي الامل معقودة بان يأخذ المطالع منها حصة تكون اقرب الى الحقيقة اذا استعمل الفكرة

ولا اتوخى في هذه العجالة الالمام بعقائد تلك الطائفة لتأتي صورة واحدة فان كتبهم

المطبوع اكثرها في بلاد الهند تتكفل بذلك لئن يروم الاستيفاء ولا ان اصف بلادهم واحوالهم وصف مدّاح متجامل او قداح متحامل بل غاية ما اتطالهُ اليهِ ذكر طرف من اخبارهم مشفوعة بصحة النقل والناقل لاتبعة تلحقهُ اذا خلصت منهُ النية

قال عبد الرحمن الجبرتي المصري في تاريخهِ عجائب الآثار في التراجم والاخبار عند حوادث سنة ١٢١٨ هجرية ما نصهُ . "وحضر صحبة الحجاج كثير من اهل مكة هروبًا من الوهابي ولغط الناس في خبرهِ واختلفوا فيهِ فمنهم من يجعلهُ خارجيًا وكافرًا وهم المكيّون ومن تابعهم وصدّق اقوالهم . ومنهم من يقول بخلاف ذلك لغلو غرضهِ . وارسل اليَّ شيخ الركب المغربي كتابًا ومعهُ اوراق تتضمن دعوتهُ وعقيدتهُ وصورتها "بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدِ الله فلا مضلَّ لهُ ومن يضلل فلا هادي لهُ . ونشهد ان لا اله الاَّ الله وحدهُ لا شريك لهُ ونشهد ان محمدًا عبدهُ ورسولهُ من يطع الله ورسولهُ فقد رشد ومن يعص الله ورسولهُ فقد غوى ولا يضر الاَّ نفسهُ ولن يضر الله شيئًا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليمًا كثيرًا . اما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين. وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم . وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنهُ فانتهوا . وقال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينًا" فاخبر سبحانهُ انهُ اكمل الدين واتمهُ على لسان رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وامرنا بلزوم ما انزل الينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى اتبعوا ما أُنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونهِ اولياء قليلاً ما تذكرون . وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوهُ ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيلهِ ذلكم وصاكم بهِ لعلكم تتقون

"والرسول صلى الله عليهِ وسلم قد اخبرنا بان امتهُ تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع. وثبت في الصحيحين وغيرهما عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموهُ قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن. واخبر في الحديث الآخر ان امتهُ ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليهِ اليوم واصحابي

"اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت بهِ البلوى من حوادث الامور التي اعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي

لا يقدر عليها الاَّ رب الارض والسموات وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الاَّ لله . وصرفُ شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لانهُ سبحانهُ وتعالى اغنى الاغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً كما قال تعالى فاعبد الله مخلصاً لهُ الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونهِ اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيهِ يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفَّار . فاخبر سبحانهُ انهُ لا يرضى من الدين الاَّ ما كان خالصاً لوجههِ واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى و يشفعوا لهم عندهُ واخبر انهُ لا يهدي من هو كاذب كفار . وقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانهُ وتعالى عما يشركون . فاخبر انهُ من جعل بينهُ وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عندهُ الاَّ باذنهِ وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الشفاعة الاَّ من اذن لهُ الرحمن ورضي لهُ قولاً وهو سبحانهُ وتعالى لا يرضى الاَّ التوحيد كما قال تعالى ولا يشفعون الاَّ لمن ارتضى وهم من خشيتهِ مشفقون . فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الاَّ من الله كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً وقال تعالى ولا تدعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلتَ فانك اذاً من الظالمين

" فاذا كان الرسول صلى الله عليهِ وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونهُ تحت لوائهِ لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخرّ تحته ساجداً فيحمدهُ بمحامد يعلمهُ اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ثم يحدُّ لهُ حداً فيدخلهم الجنة فكيف بغيرهِ من الانبياء والاولياء . وهذا الذي ذكرناهُ لا يخالف فيهِ احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليهِ السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم واما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من احداث الامور التي اخبر بها النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ وحذر منها كما في الحديث عندهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان . وهو صلى الله عليهِ وسلم حمى جناب التوحيد اعظم

حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك

" فنهى ان يجصص القبر وان يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيه ايضاً انهُ بعث عليًّا بن ابي طالب رضي الله عنهُ وامرهُ ان لا يدع قبراً مشرفاً الاَّ سواهُ ولا تمثالاً الاَّ طمسهُ ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم . فهذا هو الذي اوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الامر الى ان كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا واموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع السلف الصالح من الامة ممتثلين لقوله سبحانهُ وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلهُ لله . فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناهُ بالسيف والسنان كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . وندعو الناس الى اقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام . ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كما قال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

" فهذا هو الذي نعتقدهُ وندين الله بهِ فمن عمل بذلك فهو اخونا المسلم لهُ ما لنا وعليه ما علينا ونعتقد ايضاً ان امة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وانهُ لا تزال طائفة من امتهِ على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك اه "

قال الجبرتي بعد ايراد ما تقدم " اقول ان كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن ايضاً وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين . وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابهِ اغاثة اللهفان والحافظ المقريزي في تجريد التوحيد والامام اليوسي في شرح الكبرى وشرح الحكم لابن عباد وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصائد الشيطان وغير ذلك "

وجاء في تاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري عند الكلام على الوهابية ما يأتي : " فمن اعتقادهم تكفير عموم المسلمين الذين على الكرة الارضية الاَّ من اعتقد اعتقادهم . وسموا انفسهم بالسلف وبالمحدثين ويبغضون ويلعنون جملة من علماء السنَّة مثل ابي الحسن الاشعري ويقولون انهم هم الذين اسسوا قواعد الادلة والبراهين في علم التوحيد ومنهُ نشأت الفرق والخلاف بين

الامة المحمدية والاَّ فقبلهُ كانت الادلة هي القرآن والحديث لا غير. وايضاً يكفرون الامام ابن السبكي الشافعي ولكن ما اعلم السبب في تكفيرهِ دون سائر المصريين . وباليت شعري ما ذنبهُ معهم واظنهُ لكونهِ كان يغري الملوك بابن تيمية وجماعتهِ الحنابلة حتى حبسهم الناصر محمد بن قلاوون في الاسكندرية كما هو مذكور في الدرر الكامنة لابن حجر

"والحاصل ان الوهابيين آذوا الاحياء والاموات. ومن محاسن الوهابيين انهم اماتوا البدع ومحوها ومن محاسنهم انهم امنوا البلاد التي ملكوها وصار كما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحدهُ على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين ومنعوا غزو الاعراب بعضهم على بعض وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كانهم اخوان اولاد رجل واحد وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب الى ان عدم هذا الشر في زمان ابن سعود وانتقلت اخلاق العرب من التوحش الى الانسانية . ونجد في بعض الاراضي المخصبة هذا بيت عَنَزي وبجنبهِ بيت عُتبي وبقربهِ بيت حربي وكلهم يرتعون كأنهم اخوان وبهاتين الدسيستين خدعوا جميع العوام يعني تحو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين واحبهم سائر الامم وغفلوا عن باقي عقائدهم . ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم ومنها

وما الدين الاَّ ان نقام شعائر وتأمن مُبْل بيننا وشعابُ

"فكأنهم جعلوا تأمين الطرقات ركناً من اركان الدين . ويفهم عقلاً من سياستهم انهُ اذا فقد القاتل والسارق والناهب فأي سبب يمنع عموم الناس من الاشتغال بالزراعة والتجارة واقتناء المواشي في البادية المخصبة للتكسب من البانها واصوافها وجلودها واذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا يسرقون ولا ينهبون ولا يقتلون فكأن المسئلة شبيهة بالدورية اي انهُ متى وُجد الامان ارتفع السارق والقاتل لاشتغالهم بمعاشهم الحلال ومتى اشتغلوا بالمعاش الحلال وُجد الامان ولكن هذا الدور منفك الجهة

"ولولا ما في الوهابيين من هذه النزغة اعني تكفير من عداهم لملكوا جميع بلاد الاسلام وادخلوهم تحت حكمهم بطوعهم واختيارهم ولكن بسبب هذه النزغة ابغضتهم الامم وتسلطت عليهم الدول وغزاهم اسد الديار المصرية ابرهيم باشا بن محمد علي باشا بامر السلطان محمود سنة ١٢٢٨ وملك بلادهم ومحا آثارهم وابادهم واسكن عائلة المقرن اي بيت الملك وعائلة بن عبد الوهاب الديار المصرية (وما رجعوا الى بلادهم الاَّ بعد ان عاد الحجاز الى الدولة العلية)

"وهذه الفرقة المعبر عنها بالوهابيين هم اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي ولكنهم في

الحقيقة يسمون اهل الحديث لانهُ كان نظيرهم موجوداً في زمن الدولة العباسية وينكرون المناكير بالشدة والغلظة مثل الوهابيين ويثورون على الخلفاء بسبب ان الجهاد في اعتقادهم ركن من اركان الدين — انظر تاريخ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة من سنة ٣٠٠ هجرية — وكانوا يسمونهم الحنابلة واهل الحديث في ذلك الزمن ويقولون قام الحنابلة وثار الحنابلة وكسر الحنابلة حانات الخمور وادَّبوا من شربها وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب. ثم ثارت منهم فرق بالمشرق وبجزيرة الاندلس ويسمون الظاهرية وهم ايضاً اهل الحديث وكانوا ينكرون المناكير مع الغلظة ويثورون على الملوك واكثرهم يموت بين قتيل وطريد . ثم انهُ ظهر لهم فرق في دولة يوسف صلاح الدين وكانوا يسمون اهل الحديث ولهم ثورات وعداوات مع الملوك ايضاً وينكرون المنكر بغلظة وفظاظة وتسلسلوا الى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي . ثم ظهرت هذه الفرقة التي عمت وطمت في القرن الثاني عشر ويسمون بالوهابيين نسبةً الى محمد بن عبد الوهاب النجدي والاَّ ففي الحقيقة افعالهم وآثارهم هي افعال الحنابلة الاقدمين وهي افعال اهل الحديث في القرون المتوسطة وافعال الظاهرية فالمعنى واحد انما يسمون في كل عصر باسم على اصطلاح اهل ذلك العصر اه "

اما ناظم عقد هذه الجماعة وصاحب دعوتها محمد بن عبد الوهاب النجدي الآنف ذكرهُ فقد ورد في كتاب تبصرة الناقد لابي الفتح عبد النصير الهندي ثم المدني نقلاً عن محمد بن ناصر الحازمي في رسالة فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الاخوان انهُ محمد بن الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بزيد بن محمد بن يزيد بن مشرف. هذا هو المعروف من نسبهِ ويذكر انهُ من مُضَر ثم من بني تميم والله يهِ عليم. اخذ عن ابيهِ وهم بيت فقه حنابلة ثم حج وقصد المدينة ولقي بها شيخاً عالماً من اهل نجد اسمهُ عبد الله بن ابرهيم قد لقي ابا المواهب البعلي الدمشقي واخذ عنهُ وانتقل مع ابيهِ الى حريملا من نجد ايضاً ولما مات ابوهُ رجع الى العيينة واراد نشر الدعوة فرفي اهل العيينة بذلك ثم خرج عنها بسبب الى الدرعية واطاعهُ اميرها محمد بن سعود من آل مقرن. ويذكر انهم من بني حنيفة ثم من ربيعة والله اعلم. وهذا في حدود سنة تسع وخمسين بعد المائة والالف وانتشرت دعوتهُ في نجد وشرق بلاد العرب الى عمان ولم يخرج عنها الى الحجاز واليمن الاَّ في حدود المائتين والالف وتوفي سنة ست بعد المائتين والالف انتهى

وقال ايضاً " هو رجل عالم متبع الغالب عليهِ في نفسهِ الاتباع ورسائلهُ معروفة وفيها المقبول والمردود والشهر ما ينكر عليهِ خلتان كبيرتان الاولى تكفير اهل الارض بمجرد تعليقات لادليل

عليها والثانية الاجتراء على سفك الدم المعصوم بلا حجة واقامة برهان . وتتبع هذه جزئيات وهي حقيرة تتقرع صلاح الاصل وصحاو والله اعلم . وقد بنى الشيخ محمد المذكور طريقتهُ على اتباع ابن تيمية وابن القيم في زعمهِ واخذ من اقوالهما اطرافاً بحسب ما وقع لهُ من الاطلاع والاشراف وقد اصاب في بعض ما نقلهُ واخطأ في البعض وساء فهماً واخذ على غير القصد في بعض وقد احيت دعوتهُ بعضاً من الشريعة واماتت كثيراً من الباطل في نجد والحجاز . رحمهُ الله وتجاوز عنهُ فيما اخطأ فيهِ وجزاهُ احسن ما عمل بهِ " انتهى ملخصاً

وكتب العلامة الشوكاني اليماني في البدر الطالع في ترجمة سعود بن العزيز ما نصهُ : "فوصل اليهِ الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الاموات. وقال ايضاً في ترجمة غالب بن ساعد شريف مكة في بيان اتباع صاحب نجد وتبلغنا عنهم اخبار الله اعلم بصحتها من ذلك انهُ يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي او ولي او غير ذلك. ولا ريب ان كان ذلك عن اعتقاد تأثير المستغاث بهِ كتأثير الله يصير بهِ صاحبهُ مرتداً كما يقع من كثير من هؤلاء المعتقدين للاموات الذين يسألونهم قضاء حوائجهم ويعولون عليهم زيادة على تعويلهم على الله سبحانهُ وتعالى ولا ينادون الله جلَّ وعلا الاَّ مقترناً باسمائهم ويخصونهم بالنداء منفردين عن الرب فهذا كفر لا شك فيهِ ولا شبهة وصاحبهُ اذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين . وقال وبعض الناس يزعم انهُ يعني صاحب نجد يعتقد اعتقاد الخوارج وما اظن ذلك صحيحاً فان صاحب نجد وجميع اتباعه يعملون بما يعلمونهُ من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبلياً ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد الى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم واضرابهما وهم من اشد الناس على معتقدي الاموات

" وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات اجاب على بعض اهل العلم وقد كاتبهُ وسألهُ بيان ما يعتقدهُ فرأيت جوابهُ مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة والله اعلم بحقيقة الحال . وبلغنا انهُ وصل الى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمهِ وقدم صاحبهِ في الدين . وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ارسل بهما الى حضرة مولانا الامام حفظهُ الله احدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد الى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعلهُ المعتقدون في القبور وهي رسائل جيدة مشحونة بادلة الكتاب والسنة . والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من الفقهاء المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروهُ في مسائل متعلقة باصول الدين وبجماعة من

الصحابة فاجاب عليها جوابات محررة مقررة محققة تدل على ان المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة . وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وابطل جميع ما دونوه لانهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزيًا عليهم وعلى اهل صنعاء وصعدة وهكذا من اصدَّر ولم يعرف مقدار نفسه. انتهى ملخصاً

وقال القاضي العلاَّمة عبد الرحمن بن احمد البهكلي في كتاب نفح العود في ايام الشريف حمود "ومن كتب عبد العزيز بن سعود هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز ابن سعود الى من يراه من اهل الخلاف السلماني خصوصاً اولاد الشريف حمود وناصر ويحيى وسائر اخوانهم واولاد اخوانهم وكذلك اشراف بني النعمي وكافة اشراف تهامة وفقنا الله واياهم الى سبيل الحق والهداية وجنَّبنا واياهم طريق الشرك والغواية وارشدنا واياهم الى اقتفاء آثار اهل العناية . اما بعد فالموجب لهذه الرسالة ان الشريف احمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن فيه وتحقق صحة ذلك لديه فبعد ذلك ألتمس منا ان نكتب لكم ما يزول به الاشتباه فتعرفوا دين الاسلام الذي لا يقبل من احد سواه . فاعلموا رحمكم الله تعالى ان الله سبحانه ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل والشرع التام واعظم ذلك واكبره وزبدته اخلاص العبادة لله لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الله تعالى الخلق لاجله ودلَّ الكتاب على فضله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الاَّ ليعبدون. وقال تعالى وما أُمروا الاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين واخلاص الدين هو صرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك ان لا يدعى الاَّ الله ولا يُستغاث الاَّ به ولا يذبح الاَّ له ولا يخشى ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب الاَّ فيما لديه ولا يُتوكَّل في جميع الامور الاَّ عليه وان كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شيء منهُ لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيء غيرهما. وهذا هو بعينه توحيد الالوهية الذي أسس الاسلام عليه وانفرد به المسلم عن الكافر وهو معنى شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله

"فلما منَّ الله تعالى علينا بمعرفة ذلك وعلمنا انهُ دين الرسل ابتغاه ودعونا الناس اليه والاَّ فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله تعالى من عبادة اهل القبور والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضمُّ الى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الامور المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الاسلام حتى اظهر الله الحق بعد خفائه واحيا اثره بعد عفائه على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب احسن الله تعالى اليه في آخرته والمآب فابرز ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ تنزيل من حكيم حميد الخ . ورسالة عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انهُ برىء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائدهِ وعقائد ابيهِ وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبهُ عين مذهب الائمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في اتحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها "

وقال المستشرق سيديللو الفرنساوي في كتابهِ خلاصة تاريخ العرب ما نصهُ : " اخذت العرب من ابتداء القرن الثامن عشر في الاستقلال بالحكم لقوتها وضعف اعدائها ولم تُنقَص الاَّ اتخاذ مركز تجتمع حولهُ جميع الاذهان وترجع اليهِ في تدبير الامور فعمّت الوهابية سنة ١٧٤٩ ميلادية فاتخذت منها عبد الوهاب مركزاً وهو من قبيلة تميم اشتغل في صغرهِ بالعلوم المعتادة عند العرب خصوصاً الفقه وسافر الى بغداد والبصرة وبلاد الفرس ثم اخذ يتفكر فيما يثير الحمية في ابناء وطنهِ فوجدهُ احياء الشريعة نقية من جميع البدع كحالتها الاولية فالزمهم المواظبة على العمل بالقرآن ونهاهم عن الغلوّ في تعظيم النبي (صلى الله عليهِ وسلم) وعن تقديس الاولياء الذين هدم قبورهم وعن تعاطي المسكر وانكر على الاتراك بعض الاحوال وقال ان الشريعة تقضي ان يخرج كل انسان خمس اموالهِ (كذا) زكاة وتحرم الزينة وتلزم القضاة بتحري الصدق " واخذ يعظهم بخطب عظم تاثيرها لديهم بموافقتها القرآن ومقصودهُ من ذلك استمالتهم الى الامور الحربية ليجيروا ما كان لآبائهم من العظمة وقد كان فان اقوى جميع قبائل نجد وفدت عليهِ وانتظمت تحت لوائهِ فجعل محمد بن سعود من قبيلة مصالح قائدهؤلاء الوفود وزوج سعود ابنتهُ وتلدهُ الحكم السياسي على الوهابية لمعرفتهِ بالقوانين العسكرية

وقال احمد سعيد البغدادي في كتابهِ نديم الاديب : " اما حقيقة هذه الطائفة فانها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرَّف وفيهِ تناقض كلي لمن اطلع عليهِ بتأمل لان غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الافرنجية فان كان المؤرخ المنقول عنهُ صاحب دراية وصادق الرواية تجد ان من يترجم كتابهُ يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الاصل وان كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب اولى " الى ان قال "ومن اراد ان يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهُ فانهُ مذهبهم "

اما بلاد نجد وحالتها الحاضرة فقد وصفها محمد بن سليم الشهابي المدني في رسالتهِ الرحلة الحجازية فقال : " انها ارض مسطحة سهلة يقل وجود الجبال فيها والمشهور فيها جبلان إيجا

وسلما وانها حسنة الهواء كثيرة الامطار والسيول وفي سفح جبل ايجا مدينة تسمى بندر حائل مركز امراء نجد الآن وفيها صاحب المجد والجود الامير عبد العزيز بن الامير متعب بن عبد الله الرشيد وهي مسوّرة ولها ثلاثة ابواب وبيوتها طبقة واحدة والقليل منها طبقتان مرتفعة البناء وفيها محال للقهوة مزينة داخل البيوت على عادة العرب وفيها قصر اميرها عبد العزيز المسمى ببرذان وهو كبير وهيئتهُ حسنة وفيهِ مصيف واسع جدًّا لتناول الضيوف فيهِ الطعام وبلي قصر الامير اصطبل لجياد الخيل خاصة بالامير وعمهِ واولاد عمهِ واتباعهِ وقريب من القصر دار عمهِ حمود العبيد الرشيد ويقابلهُ جهة اليمين منزل خازنهم سبهان السبهان وبين قصر الامير ودار عمهِ ودار الخازن ميدان كبير يسمى المحيب مبني احسن بناء معد للجلوس. وفي كل يوم يخرج صاحب الدولة الامير عبد العزيز في الساعة الاولى من النهار الى الساعة الرابعة فيجلس بجانبهِ عمهُ حمود العبيد ويليهِ القاضي وبين ايدي الامير كاتب الامارة ومقيد الحقوق ويقابل الامير في الجهة الثانية خازن الامير فتفض دكاك المحيب بكبار الاهالي والوافدين من المشايخ والضيفان ويجلس امام الامير رجالهُ وعبيدهُ جثاةً متكئين على مقابض سيوفهم ينظرون في وجه الامير منتظرين اوامرهُ. وعند ما يستقر الامير في الجلوس يمثل بين يديهِ اصحاب الدعاوي والخصومات فيحكم بينهم في الامور العرفية والسياسية واما ما يتعلق بالشرع فيرسلهم الى القاضي بجانبهِ فيحكم بينهم فيعود بردهم الى الامير والامير ينفذ احكام القاضي على موجب القرآن الشريف والاحاديث النبوية والاقوال الصحيحة فيقتص من القاتل ويقطع يد السارق ويقيم حد الرجم

"ولا يوجد في بلاد نجد شاهد زور البتة حتى لو سمع الامير بشاهد زور يجابهُ من اقصى نجد ويعزرهُ وينفيهِ وفي الساعة الرابعة ينفض مجلس الحكم والقضاء ويدخل الامير قصرهُ وبعدها يدخل الضيوف والمحتاجون الى المضيف الواسع يتناولون الطعام وبعد هنيهة يخرج الامير الى مجلس لهُ في القصر فتدخل الضيوف ويشربون القهوة بحضرتهِ وكل من لهُ حاجة يقف امام الامير ويكبّ عليهِ ويرفع رداءهُ على رأس الامير ورأسهِ ويذكر لهُ حاجتهُ في اذنهِ بكلام موجز مفيد حتى يتم كل من لهُ حاجة. وعادتهم بعد تناول القهوة ان يدوروا بمباخر عود الطيب في المجلس ثم ينهض الامير قائمًا والحضور يتبعونهُ للصلاة في الجامع المقابل لقصرهِ مع الامام. وفي اوقات الصلاة يطوف مأمور من قبل الامير في الاسواق والشوارع فاذا وجد واحدًا لم يحضر صلاة الجماعة يسلبهُ عمامتهُ ويجرهُ الى المسجد وعند خروج الامير من الصلاة يعرضهُ عليهِ فيؤدبهُ الامير لتركهِ الصلاة مع الجماعة

"وترى جميع اهل البلد والنازلين فيهِ متبارين على صلواتهم مع الامام في الجامع وهم في

غاية الذكاء والكمال والفصاحة العربية وحديثهم ينهم بالاحسان والتؤدة لا تسمع بينهم لغواً ابداً واذا كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننها فهي عندهم . ولقد نزلت بين ظهرانيهم على عهد المرحوم الامير متعب ثلاثة اشهر ثم زرتهم مرتين فاكثر لما رأيت من انسانيتهم فامعنت النظر في احوالهم فلم اسمع في حائل حاضرة الامير صوت طبل ولا غناء مزمار ما خلا طبل الحرب في وقته. واذا مات احدهم لا تسمع عويل اهله وعياله سوى حزن وبكاء ويدفنون موتاهم حال وفاتهم ولو مات الميت في الليل . ولاميرهم ايضاً مجلس آخر مثل الاول يجلس فيه من بعد العصر الى قرب الغروب وعند تحفزه للقيام ينادي منادٍ ثلاث مرات باعلى صوته في الصحب : العشاء يا مفتاق يا محتاج ثم يقف ثانياً في السوق وينادي ثلاثاً مثل الاول فيسرع الجياع لتناول الطعام في مضيف اميرهم عقيب الضيوف الذين لا ينقطعون من منزل الامير كل يوم وليلة واقل ما يجتمع على مائدته كل يوم اربعمائة نسمة او يزيدون

" وبلدة الامير المسماة بحائل محوطة بنخيل تسقى من آبار عميق واحدتها خمس عشرة قامة وماؤها عذب فرات وفيها بعض اشجار مثمرة وبناوحها في سفح جبل ايجا قرية تدعى نقاد ذات عين ثرة تسقي النخيل والزروع . وحاضرة امير حائل تحيط بها من جهاتها الثلاث ارض سهلة ما عدا الجهة الرابعة حيث جبل ايجا الذي يكثر فيه الربيع مسافة يومين وليلة وهي حمى جعله الامير لخاصته يرعى فيها خيله وهجنه وابله ومواشيه . وفي محيط الحمى ترى رجال الامير وعلى بعد خمسة ايام من الحمى بلدة كبيرة خاضعة للامير تسمى عنيزة مسورة بسورين سور على نخيل يحيط بها وسور على البلدة وعلى مقربة منها مسيل ماء يجري في الغالب وعلى اطرافه نخيل كثير واكثر سكان البلدة تجار نجد واعيانها ويقابلها ايضاً بلدة كبيرة مسورة تسمى بريدة ولها قرى تابعة لها ونخيل كثير تدعى القصيم متصلة بالدرعية ومنها الى مدينة عظيمة تدعى العارض حيث نجد ساكن حكام نجد وامرائها آل سعود في ايام عدلهم ولما ظلموا ووصلوا الى مكة والمدينة وتجاوزوا الحجاز الى الشام ومنعوا الركب من الحج ثلاث سنين اذهب الله ريحهم وصار الحكم لآل الرشيد الذين هم في العدل الآن ومنهم الامير عبد العزيز بن متعب الرشيد

" اما القبائل التي يحكمها الامير المتفرقة في اقطار نجد من شمر فهي اربع قبائل ما عدا المتفق في جزيرة بغداد وهو مستقل بنفسه وقبائله واكثر قبائل عنيزة تحت طاعته واغلب قبائل عتيبة وجانب من قبائل مطير وقبائل مسروح سكان نجد وقبائل بني سالم المتوطنين في نجد والشرارات وعتيم وغيرها من القبائل الكبيرة التي لم نطلع عليها وكلهم مطيعون لاوامره ونهيه يتوقعون اشارته . واذا بغت قبيلة على اخرى منهم او ارادت العصيان يربيهم ويقيم

العدل بينهم بالاحسان او بالسيف . وفي كل عام يأخذ منهم الزكاة وفقاً للشرع من خيولهم وابلهم واغنامهم ومواشيهم ونخيلهم وزروعهم ولا يستثني من ذلك الاَّ الخيل المعدَّة للحرب . والذي يجبيهِ من الزكاة على وفق الشرع يجمعهُ عندهُ فيفرق بعضهُ على المجاويج والفقراء ويصرف البقية في المآدب وعطايا قاصديهِ حتى لا يبقى على راس السنة منها شيء . ويبلغ ما تحت امرهِ من النفوس التي عرفناها ما عدا ما لم نطلع عليهِ مائة وثمانين الفاً وتيفاً ومنهم ستون الف فارس يركبون الخيول العربية المطهمة ترى الخيل تحتهم كالاسود الضارية وهم على صهواتها كالعقبان شاكي السلاح تقرأ الشجاعة في اعينهم . وستون الف شجاع يركبون الهجن وستون الفاً رماة مشاة يتزادفون احياناً مع اهل الهجن وقت الغزو "

هذا طرف مما عثرت عليهِ في تضاعيف كتب مطبوعة ومخطوطة لمؤلفين متباينين في المشارب متفرقين في المشارق والمغارب اثبتهُ على حالهِ ولم امسخ من لفظهِ ولا مآلهِ . ورأيت وسمعت كثيراً من مؤرخي الفرنجة وسياحهم تكلموا على هذا المذهب ومنهم المنصف والمجحف على ان المجحف منهم يفضل بهِ دقيق امثال احمد جودت وعبد الرحمن شرف وايوب صبري وغيرهم من المؤرخين الذين اطلقوا مباشرةً الفاظ التكفير والتضليل على ابناء هذا المذهب ورموا الكلام على عواهنهِ واتهموهم في امانتهم ولذا اقتصرت على ايراد ما تقدم وتجافيت عن ترجمة اقوالهم لانها مليت بلسان التمويه لا بلسان التاريخ . وعلى ما قيل في عباراتهم يتعرف ما كتبهُ احمد زيني دحلان المكيّ بعبارات نخرية تخجلهُ وقد رد عليهِ علماء الوهابية زاعمين ان الاحاديث التي ساقها في كتابهِ موضوعة بعد ظهورهم مطالبين القائل بها ببيان الكتب المأخوذة منها من اسفار المحدثين المتقدمين والمتأخرين مطيلين اللسان على علماء ذلك العصر ناسبين لهم الافتراء على حضرة صاحب الرسالة عمداً ويا ليت هذا المكيّ بيَّن مآخذهُ ليخلص من المطعن فان المقام مقام جدال

واختلفت الاقوال في عدد المعتنقين لهذا المذهب في نجد ويقول شمس الدين سامي صاحب قاموس الاعلام ان عددهم قد يرقى الى ثلاثة ملايين نسمة في نجد . اما مساحة هذه الكورة فيقطعها الراكب على متون المطايا في عشرين يوماً عرضاً وثلاثين يوماً طولاً . واخبرني احد الثقات الاثبات ان دعوة الوهابية تنتشر في الهند خصوصاً في الاعوام الاخيرة وان لهم تاريخاً جليلاً في مجلدين الفهُ حسين بن غنام الاحسائي فيهِ من المواد ما لم اتمكن من الاطلاع عليهِ وعساني استجلب منهُ نسخة فاعود لاشباع القول عليهم كشفاً للحقيقة وإقناعاً للموافق المؤانس او المخالف الموانس والله ولي التوفيق .